

العربية تحمل في ذاتها نزعنا إنسانية . هي إسها والعرب في حضارة العالم الأسيا ذكريتة الإرسنوزية

في الالف قادر على انشاء رسالة الى صديق بلاينية مستقيمة ولكن اذا استدمى الامر كتابة العربية فكم منهم من يستطيع ان يعبر عن نفسه في تلك اللغة بأعظم ما يكون من الرشاقة . بل لقد يقروضون من الشعر ما يفوق في صحة نظمة شعر العرب انفسهم - الفارو » .

ولكن لما كرت اوروبا على العرب واحتلت فرنسا لبنان ارتفع صوت مماثل لصوت الفارو في الشكوى غير ان الشكوى في هذه المرة كانت من مدرس اللغة العربية على اهمال الناس لغة اجدادهم من اجل لغة الفاتحين (اللغة الفرنسية)

واذا كان مصير اللغة يتبع مصير متكلميها افلا تختلف اللغات بعضها عن بعض من حيث المقدرة على البيان وتشخيص المعنى ونقله حيا الى الاذهان ؟ في مجال المفاضلة بين لغة واخرى كمجموعة من الادوات . يقول الفكر الالماني هوستون شامبرلسن : لو بقي « كانت » على لغة اجداده الانجليز ما كان بلغ ما بلغ من شأو في الفلسفة . وهو يستعمل اللغة الالمانية . واذا كانت شعوب اوروبا قد اتخذت اللغة اللاتينية لغة اساسية في تعليم الناشئة ، فان الاختيار لم يكن بتاثير الدكريات التاريخية (ذكريات روما القديمة) بل لان اللاتينية اصلح من لغات هذه الشعوب لابضاح المفاهيم الانسانية .

احد المؤرخين الفرنسيين (ارنست دين) يقول في حديثه عن الوحدة الالمانية ان مصير اللغة يتبع المصير السياسي لتكلمها ويضرب لنا مثلا بتساوب الناس في الاقبال على اللغة الالمانية او اللغة الفرنسية تبعا لمركز كل من المانيا وفرنسا السياسي في العالم ، وللعرب تجاربهم من هذا القبيل ، فلما بلغ المد العربي في غضون القرون الوسطى سهول فرنسا اصبحت ثقافة العرب منهل الشعوب الاوروبية واليك بعضا مما ورد في هذا الشأن على لسان احد ادباء ذلك العصر :

« يطرب اخواني المسيحيون لاشعار العرب وقصصهم ، فهم يدرسون كتب الفقهاء والفلاسفة المحمديين ، لا لتنفيذها بل للحصول على اسلوب عربي صحيح رشيق ، فابن تجد اليوم علمانيا يقرأ التعليقات اللاتينية على الكتب المقدسة ، وابن ذلك الذي يدرس الانجيل وكتب الانبياء والرسول ؟ وا اسفاه .. ان الشباب المسيحيين الذين هم من ابرز الناس مواهب ليسوا على علم من أي ادب ولا اية لغة غير العربية ، فهم يقرأون كتب العربية ويدرسونها بلهفة وشغف ، وهم يجمعون منها مكتبات كاملة تكلفهم نفقات باهظة ، وهم يترنمون في كل مكان بمدح تراث العرب وانك لتراهم من الناحية الاخرى يحتجون في زوايا اذا ذكرت الكتب المسيحية بان تلك المؤلفات غير جديرة بالشفاهم فوا حر قلباه . . . لقد نسي المسيحيون لغتهم ولا يكاد يوجد منهم واحد

وأما مقدرة اللسان العربي على البرهان فقد استرعت انتباه كل من أولى عنايته دراسة لغة الضاد واليك بعضاً من ما تورد القول في هذا الشأن :

« فإما ما نحن بصدد ذكر اللغة العربية فلا نزاع في ميزتها على سائر اللغات وفضلها ، أما السعة فالأمر فيها واضح ومن تتبع فيها جميع اللغات لم يجد فيها على ما سمعته لغة تضاهي اللغة العربية في كثرة الاسماء للمسمى الواحد ، على أن اللغة الرومية بالضد فان الاسم الواحد يوجد فيها للمسميات المختلفة كثيراً » (سر الفصاحة لان سنان الخفاجي) يضاف جمال الصوت الى ثروتها المدهشة في المترادفات (الزهر في علوم اللغة للسيوطي) نعم أن المعاني يمكن أن يعبر عنها باللغات الأجنبية ، ولكن العربية تستطيع أن تنقلها بدقة أكثر وإيجاز أتم . (الزهر) وتمتاز العربية بما ليس له ضريب من البسر في استعمال المجاز ، وأن ما بها من كنيات ومجازات واستعارات ليرفعها كثيراً فوق لغة بشرية أخرى . . ومثل هذا الحال يجعل الترجمة المرصية من العربية واليها أمراً مستحيلاً . وهي مع هذه السعة والكثرة أخصر اللغات في إيصال المعاني ، وفي النقل اليها يبين ذلك أن الصورة العربية لأي مثل هي أقصر في جميع الحالات فليس كلام ينقل الى لغة العرب إلا ويجه الثاني أوجز من الأول مع سلامة المعاني وبقائها على حالها .

ولقد ادهشت الكفة العربية بمقدرتها على البيان . يقول ابو داود الطران وهو عارف باللغتين العربية والسريانية: انه اذا نقل الالفاظ الحسنة الى السريانية قبحت وحسنت « واذا نقل الكلام المختار من السرياني الى العربي ازداد طلاوة وحسناً . ويقول الفارابي بصدد البيان في لغة الضاد . هذا اللسان كلام أهل الجنة وهو المنزه من بين الالسنه من كل نقيصة والمعلي من كل خسيصة والمهدب مما يستهجن أو يستبشع وفضلاً من ذلك فان فصاحة العرب الفطرية مجيبة .

ومع ما عليه مركز العرب السياسي اليوم من وهن فان الأستاذ هنري دوباستيه يكتب في جريدة (لوموند) عن رسالة اللغة العربية نحو الثقافة الانسانية :

« ان اللغة العربية التي نبتت في الصحراء ، حيث يشخص النظر في كل ليلة نحو السماء الثلاثة بالنجوم ، ان تلك اللغة بمحتواها الانساني والالهي ، توجه الأذن نحو السمو ، نحو المثل الأعلى ، نحو المطلق . وهكذا فان اللغة العربية تحمل في ذاتها نعمة انسانية كانت نعمة المسيح والتي لا تستطيع لغاتنا البربرية البتة أن تعبر عنها بوجه من الوجوه وهي تشكل اسهام العرب في حضارة العالم . وهذه اللغة هي كنز العرب .

ونحن الاحفاد ، يحق لنا ان نضيف رأينا في مزايا اللسان العربي الى آراء السابقين في هذا المضمار ولاسيما اذا كان هذا الرأي يفسر لنا سر تفوق هذا اللسان على غيره من اللغات . فنحن نرى أن اللسان العربي أقوى من اللغات الأخرى في توضيح المفاهيم الانسانية بمشابة حسن الرؤية من حواس الجسد . ومزية اللسان العربي هذه ترجع الى الخيال المرن المتضمن في الكلمة والخيال المرن او الصورة هذه تبرز من ثنابا البنية الاشتقاقية للكلمة العربية كظهور صورة الاشراق في معنى كلمة « ذكاه » المتضمنة صورة ذكاه الشمس . ولقد مثلت ذات مرة الكلمة العربية بين شقائقها في الاسرة بمصباح في ثوبا يزداد معناها تالفا بتجاوبه مع معاني شقائقه في الاسرة . كما مثلتها مرة أخرى بنفيسة في انشودة من حيث اثارها للانفعالات العميقة في تشخيص المعنى وتحقيقه .

فالى م يرجع امر مزايا اللسان العربي هذه ؟ ترجع هذه المزايا الى نشأة لساننا البدائية والانسجام بين المحسوس والمقول بين المسميات الحسية وبين المعاني المجردة كما ترجع الى الانسجام بين المضمون وبين العبارة ، أي بين المعنى المتضمن في العبارة نفسها . ظل اللسان العربي امتداداً لعبارة الهيجان الطبيعية وتجسيدها لها . الاخ والاخوة والاخاه هي امتداد لعبارة أخ عبارة التوجع الطبيعية . واذا اضيف الى صوت الهيجان اصوات أخرى كالاصوات المستحدثة في الفم (بت الحاصلة من تقاطع اللسان بالنطق ومنها . بتر والباير واذا اضيفت الاصوات المقتبسة من الطبيعة الخارجية كصوت خرير الماء ومنها خرب وخر ؟

بل هناك البيان الصوتي أيضا . معلوم ان اللسان امتداد صوتي لعبارة الهيجان التي تجسد الشعور وتشارك بتجسيدها آياه الآخرين . واليك مثالا عن هذا المعنى في لساننا من الازراب .

حركة الفتح تعبر عن معنى الركون الحاصل من ركون اللسان عند خروج الصوت وتمدد الدهن في المفعول والفعل الماضي الى المشاركة في هذا المعنى . وحركة الضمة الحاصلة من تدافع الصوت تعبر عن الفعالية وتمدد الدهن للمشاركة في معنى الفعالية في الفاعل وفي الفعل المضارع .

ذلك هو اللسان العربي بمثل الحياة في صمودها نحو الحق والحقيقة .

واذا تجمع ذلك كله فان الحياة تنمو في تطورها بالاستناد الى الايقاع والى حسن الرؤية المتصفة بالوضوح والدقة .

فالى نشأة كل من الكلمات العربية من صوت طبيعي يرجع الانسجام بين المحسوس والمقول . كلمتا ذكاء - الشمس والذكاء في النفس يرجعان الى صوت ذلك وتكون الشرارة الى حالة من ذلك صورة حسية للاشراق (الذكاء) في النفس . وكذلك الكلمتان شريعة وشارع يرجعان الى صوت شر والشارع تعريف بالمحسوس للشريعة كمجموعة قواعد يسلك عليها الناس في علاقاتهم بعضهم مع بعض .

وليس البيان في اللسان العربي بالمجاز فحسب

الإسلام ولغة القرآن في نظر الجامعة السورية

تلقينا من وزارة خارجية الجمهورية العربية السورية اجوبة جامعة دمشق وجامعة حلب ومديرية البحوث ، بوزراء التربية من الاستفتاء الذي نظمه المكتب الدائم للتريب في العام الماضي حول « علاقة الاسلام باللغة العربية » وقد وصلتنا هذه الابحاث بمد ان اصبح العدد السادس من مجلة « اللسان العربي » جاهزا للطبع فارجاناها الى هذا العدد معتدين :

افترض عليه من التكبير وامر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك ، ومهما ازداد من العلم باللسان الذي جعله الله لسان من ختم به نبوته وانزل به آخر كتبه ، كان خيرا له .

غير انه لا ينبغي ان يكون خافيا في هذا الصدد ، ان مرد هذا التلازم انما هو نزول القران بلغة العرب ، فلولا ان الله عز وجل اقتضت حكمته اختيار هذه اللغة ترجمانا لكلامه وتعبيرا عن خطابه لكان شأنها كشان أي لغة أخرى بل ولنشا التلازم الذي ذكرنا بين الاسلام واللغة الاخرى التي كانت الحكمة الالهية تختارها .

ومن هنا نعلم انه لا يمكننا ان نقول بحال : انه لولا ان اللغة العربية هي لغة القران لما انتشر الاسلام .

والواقع التاريخي الذي يبدأ من عصر البعثة النبوية الى يومنا هذا ، اعظم دليل وبرهان على واقع هذا التلازم الذي ذكرناه ، وفيما يتعلق بواقع بيئتنا السورية خاصة ، فان مما هو مشاهد ومعروف عندنا لكل احد انه عندما كانت البرامج التعليمية عندنا في المدارس الابتدائية والثانوية تعني كثيرا بتدريس

لا ريب ان هناك قدرا من التلازم بين الاسلام واللغة العربية ، بمعنى ان الاسلام كلما ارتفع شأنه وشاعت احكامه ازداد معه شأن اللغة العربية قوة ورفعة وانتشارا ، وان اللغة العربية كلما ارتفع شأنها وتوسعت انتشارها او ازدادت درجة التعمق فيها والدراسة لعلومها ، ازداد بذلك امر الاسلام ظهورا واصبح السبيل الفكري اليه اشد جلاء واستقامة ووضوحا .

وكيف لا يكون اشتداد الوازع الاسلامي اعظم سبيل الى قوة اللغة العربية والمزيد من انتشارها ، وان الاقبال على تعلمها انما يكتسب اذ ذاك معنى التعبد لله عز وجل والمعكوف على فهم دينه واحكامه .

وقد فرغ الفقهاء من بيان انه يجب على المسلم ان يتعلم من اللغة العربية ما يبصره بحكم الله عز وجل في كتابه وسنة رسوله ما لا غنى له عنه ، وفي ذلك يقول الامام الشافعي رحمه الله في كتابه « الرسالة » :

(فعلى كل مسلم ان يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده ، حتى يشهد به ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ، ويتلو به كتاب الله وينطق بالذكر فيما

اما فيما يتعلق بمدى تأثير الفكر الاسلامي عن طريق لغة القردان في اللهجات او اللغات الاقليمية في الاقطار الاسلامية ، فان الامر يختلف بالنظر الى اختلاف التاريخ .

ففيما مضى ، وحينما كان سلطان الاسلام منبسطا على نفوس الشعوب الاسلامية وسلطانها الحاكمة مما ، كان تأثير الاسلام على اللهجات واللغات الاقليمية تأثيرا عظيما وكليا ، ولا يجهد احد ان معظم البلاد العربية اليوم انما كان اهلها اخلاطا من الاحاجم المختلفين ، ولا يجهد احد ان التاريخ القديم والقريب يملأ اذهاننا بأمم من الاكراد والترك والفرس والشركس والهنود تجردوا عن خصائصهم اللغوية ، وصقلت السنتم اللغة العربية بتأثير من الفكر الاسلامي الذي سيطر على نفوسهم .

اما اليوم فمن المؤسف ان نقول : ان التأثير الاسلامي في اللغات الاقليمية او اللهجات المحلية لم يعد قويا كما كان ، ذلك ان سلطان الاسلام قد انحسر مده ولم يعد يتجلى الا في نفوس الشعوب الاسلامية كشعوب ، وهذا القدر لا يكفي لظهور اثر الاسلام ولغة قردانه على اللغات الاقليمية او اللهجات العربية المختلفة .

ان اللهجة الاقليمية التي تشيع في تعابير اقليمنا السوري ، ليست من اللهجات البعيدة عن اللغة العربية الاصلية ، ومن ثم فان تأثيرها على اللغة العربية تأثير جزئي ولا ريب ان يضعف ويقوى حسب اختلاف التأثير الديني قوة وضعفا .

ومع ان هنالك لهجة عربية اقليمية لدينا ، فان اللغة العربية الاصلية ، هي وحدها اللغة الطينية واللغة الدراسية في شتى مراحل التعليم الابتدائي والثانوي والجامعي ، ومهما كانت العلوم التي تدرس فان الاداة التعبيرية عنها هي اللغة العربية وحدها .

اما اللغات الاجنبية ، فشانها كشأن المواد الدراسية التي يتلقاها الطالب في المدرسة قصدا الى تميم مقوماته الثقافية وتسهيلا لوسائل الترجمة والتعريب .

القردان والعلوم الدينية ، كانت الملكة العربية لدى الطلاب في غاية القوة والاشراق وكانوا من اجل ذلك يهضمون في دراستهم العربية منهاجا زائرا بالعمق والقوة ، فلما قلت العناية اخيرا بالقردان ودراسته وما يحف به من العلوم الدينية التي ثبت الوازع الديني في النفوس وتشد من ازره ضعفت الملكة العربية لدى الطلاب ضعفا بينا وخطيرا ، واصبح منهاج الدراسة العربية ، رغم ضآلته الشديدة بالنسبة للمنهاج القديم عقبة كاداه في طريق الطالب لا يكاد يجتازها الا زحفا وجرا . . هذا بالرغم من حشد كل ما قد يظن انه ضمان لتقوية الطلاب في هذه المادة، في النظام الدراسي العام، من مثل الاكثار من الساعات الدراسية ، واشتراط المزيد من الدرجات للنجاح فيها وما الى ذلك .

ولا ريب ان من نتيجة التلازم الذي ذكرناه ، ما هو واضح لكل متأمل من تآثر الوازع الديني والوحي الاسلامي بما يعترى اللغة العربية من قوة او ضعف .

ونحن هنا لا بد ان نفرق بين العاطفة الاسلامية ، والوحي الاسلامي ، فاما العاطفة ، فلعل التلازم بينها وبين اللغة ضئيل ، ومرد ذلك الى ان للاسلام في مجموعه سلطانا على الفطرة الانسانية اذا خلى وشانها ، فالفطرة تنقاد وتتأثر بالاسلام كعقيدة وايمان دون اي حاجة الى وساطة لغة ، اما الوحي الاسلامي وما يتبعه من الوازع الديني الصحيح ، فان منافذه الى الفكر والعقل لا يكون الا في طريق اللغة العربية .

ان بلدة اسلامية كتركيا مثلا ، لا يعدم معظم اهلها عاطفة دينية متاججة رغم جهل عامتهم باللغة العربية ، ولكنهم لا يركنون اطلاقا الى اي ركن شديد من الوحي الاسلامي الذي هو وحده الذي يقدر ان يحمي افكارهم الدينية من اي تلبيس او خداع ديني قد يتسلل اليهم .

ومن اجل ذلك ملاحظة ان الكيد التبشيري ضد الاسلام انما يستهدف تلك المناطق الاسلامية التي توجد فيها حرارة عاطفية نحو الدين ، ولكنها تعيش قاصية عن الوحي الاسلامي بسبب انحباسها في سجن العجمة وانسداد المنافذ التي توصل افكار اهلها بحقيقة الاحكام الاسلامية وما تنطوي عليه من منهج وتنظيم

الإسلام عز العروبة

الأستاذ درويش العلواني

وزير الدولة والأوقاف سابقاً
(دمشق)

ففي أواخر القرن السادس للميلاد كانت القوتان المتقابلتان المسيحية والمجوسية تحيطان بشبه جزيرة العرب وظلت أرض العرب واحة حصينة آمنة من الغزو إلى حد ما إلا من بعض أطرافها ، وكان لموقعها وطبيعتها الجغرافية أثر في حماية أهلها وفي تكوين طباعهم ومزايهم ، فقد حصنتهم البحار المحيطة من ثلاث جهات والصحراء من الجهة الرابعة من تغفل الأماجم ونفوذ الدولتين الكبيرتين إذ ذلك : دولة الفرس ودولة الروم وجملتهم يمتزجون بالحرية ويفخرون بالأباء والشمم ويباهون بالحمية والنجدة والكرم والوفاء مما طبع العربي على خصائص وميزات ظلت ترافقه زمناً طويلاً . . . وكانت سبباً في إثارة الفيرة والحقد لدى العناصر الأعجمية التي ابت أن تقر لهم بميزة أو فضل ولو ظهر الإسلام في بلادهم وكان القرمان عربياً وصاحب الرسالة من أشرف بطن في العرب ومن خير ولد آدم وكان خياراً من خيار .

لم تكن هناك مناطق زراعية إلا في اليمن وبعض الواحات التي تصل إليها الأودية حاملة بعض الماء عقب الأمطار العارضة والنادرة والمفاجئة أو بعض العيون والينابيع القليلة في أكناف الجبال العالية أو القريبة من البحر . كما لم تكن هناك صناعة تذكر إلا

بطن بعض ذوي التفكير السطحي أن القومية لا تكمل إلا إذا ابتعدت عن الدين وكأنها شيء فوق الأديان أو لا صلة لها بها ، وما عرفوا أن القومية العربية بصورة خاصة لا تستطيع الإبتعاد عن الإسلام ولا عما جاء به كما لا تستطيع اللغة العربية أن تكون ذات شأن بعيدة عن القرمان الكريم . وإنما لا نستطيع أن ندرس التاريخ العربي بعيداً عن الواقع الإسلامي والحضارة الإسلامية .

ويظن آخرون أن الإسلام كائن مستقل من العرب والعروبة وأنه دين فقط كغيره من الأديان السماوية لاعلاقة له بمشئته ولا بالامة التي خرج منها صاحب رسالته ولذا يرون أن القومية العربية ضد الإسلام وأنه بالتالي يجب أن يحاربوا هذه الفكرة الدخيلة .

كلا الطرفين مغال في نظريته بعيد من الصواب لان العرب المسلمين لا يقرون العصبية المنصرية تمشياً مع هدي رسول الله الذي يقول : « ليست العربية لأحدكم من أب ولا من أم ، وإنما هي اللسان ، فمن تكلم العربية فهو عربي » . . . وكان يقول : « سلمان من آل البيت » . . . رغم أنه فارسي . كما دعا المسلمين إلى حب العرب إذ قال : « أحبوا العرب لثلاث : لاني عربي والقرمان عربي ولسان أهل الجنة في الجنة عربي » .